رواية الحسناء

بسالة بك

بدت شجاعة العرب في طرابلس الغرب بمظاهر مختلفة تزينا من كرامة الاخلاق ما يستدعي الاعجاب اخصه ما تبديه بنت حواء بجانب ابن آدم فقد رووا عن كثيرات منهن اعمالاً مجيدة شهد لها الافرنج . نذكر منها الان هذه الرواية عن اللغة الروسية

في ليلة مقمرة والجوّ صاف انكأ شيخ على مسند في فراش من جلد الغنم داخل الخيمة وشرع يدخن تبغاً بسرعة دون انقطاع ويفكر في امر يشغل باله . ثم التفت الى اصحاب المجالس امامه ونادى — ولداه مصطفى ، مالي اراك آثرت البقاء هنا على اللحاق باخوتك الحمسة وقد تطوعوا في جيش الخليفة وفضلوا الجهاد في الحرب على الجلوس بين المنازل . ايه يا مصطفى انا اعهد فيك البسالة والاقدام واعرف شجاعتك وقد توقعت منذ دخل الاعداء بلادنا ان تسبق اخوتك الى الدفاع ولكني اراك قد احدثت تحويلاً آمالي بل آمال امك التي سمعتها صباح اليوم تقول فيك — ليتني لم الد مصطفى ولم ارضعه لبن الشجاعة

وسكت الشيخ هنيهة متلاهياً بشعر لحيته ثم تابع قوله — بني ما ولدتك ورباك تمكث طول النهار جالساً امامي انك قد خالفت بهذا عاداتنا وتركت سن العار ملصقاً بنا الشنار

وكان مصطفى شاباً في الخامسة والعشرين من عمره جميل الوجه ذكياً جريئاً فخجل من كلام ابيه فبكى وتنهد وقال — ابتاه . لم يمنعني عن نصرة الجند خوف ، وانت تعلم قلبي . وانما ذهب اخوتي جميعهم الى الجهاد يضطرني للبقاء هنا اذ لم يبق في المنزل من يحميه وانت شيخ اعجزك الكبر وامي سطا عليها الهرم واخواتي عذارى مكرمات فهل من المروءة تركهم بلا سند

وما اتم كلامه حتى دوى صوت امه صارخة به — ليس هذا بعذر كاف لاشفع بما سبقت من العار

ثم بدت فتاة في الثالثة عشرة من عمرها مملوءة الجسم رشيقة القوام تستل سيفاً بتاراً . وقالت — مصطفى ، انا شقيقتك زينب احمي بهذا السيف والدي واخواتي فانهض حالاً وتسلح واركب جوادك ولا تبت الليلة معنا ، الحق باخوتك وحارب معهم وتكلوا بالعدو وطاردوه

فاجابها بتأثر — لن ابرح الحي وقد اقسمت الا اترك خطيبتي عرضة للسبي

فصاحت امه قائلة — لقد ادركت السبب . انك لا تستطيع فراق ليلى . فيا لك من محب انساك الحب واجبانك . ان الرجل الذي تؤخره المحبة عن الدفاع عن شرف عائلته ليس برجل فانا لا اغالي اذا تبرأت منك واسفت على لبن ارضعتك

وما كادت تتم كلامها الا ودخلت ابنة اخيها بعد ان سمعت كل الحديث فسلمت وقالت — مصطفى ! مصطفى ! اننا تعاهدنا على الزواج بسنة الله ولكنني صرت ارفضه لئلا تقول العرب ان ليلى تزوجت نذلاً اقعده الحب عن خوض المعارك . فاما ان تفارقنا الآن واما فلا انا لك ولا انت لي

فدبت النخوة في مصطفى فتناول سلاحه وودع والديه واخواته وليلاه وركب جواده واسرع يقتفي اثار المجاهدين

على انه ما ابتعد كثيراً عن الحي حتى بدأ فؤاد ليلى يتفطر جوى فضاق صدرها وثارت نفسها فانسلت الى خيمة ابيها و بدلت ثيابها بثياب الرجال وتلثمت بكوفية وعقال وتقلدت سيفاً وركبت جواداً وسارت الى المعسكر امام بتغازي حيث كان حبيبها واخوته يحاربون

فانتظمت معهم في الجيش وغدت تحارب مثلهم وعينها دائماً على مصطفى . وقد جالسته مراراً وحاربت الى جانبه مرات ولم تدعه يعرفها لكنها احبها كرجل لما كانت تبديه امامه من البسالة والتعرض للخطر دونه

واتفق مرة ان مصطفى اصيب برصاصة على ظهر الجواد فلم يعد يستطيع الركوب فارتمى الى الارض يتخبط في الدم فراته ليلى فهلع فؤادها واسرعت اليه مستبقة برجلين ساعدها على نقله الى محل امين فغسلت جرحه واهتمت به الى ان افاق من اغمائه . واذ راى الجرح مضموداً وصديقه يزرق الدمع بجانبه شكره على صنوفه

عند ذلك لم تستطع ليلى السكوت فنزعت اللثام فعرفها مصطفى حالاً وقال

— اهذا انت

— نعم انا بذاتي لحقت بك لاحارب معك واسهر عليك

قالت هذا وساعدته على ركوب جواده وعادت به الى القبيلة فرضته الى ان شفي ثم رجعت وابيه الى الحرب وما زالا الى اليوم يحاربان